المستوى التركيبي في رسائل الجاحظ

الأستاذ الدكتور

سرحان جفات سلمان

المدرس المساعد

علي عبد الحسين جبير

جامعة القادسية - كلية التربية

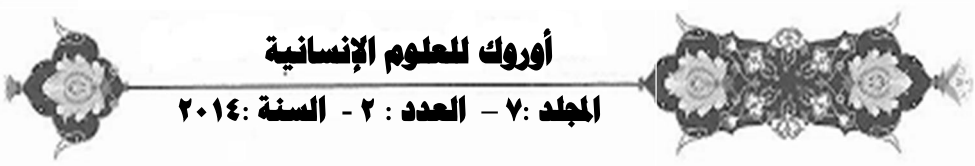

أوروك للعلوم الإنسانية

المجلد :٧ – العدد : ٢ - السنة :٢٠١٤

المستوى التركيبي في رسائل الجاحظ

الأستاذ الدكتور
سرحان جفات سلمان
المدرس المساعد
علي عبد الحسين جبير
جامعة القادسية - كلية التربية

المقدمة

بعد الدراسة الأولى التي خضنا غمارها مع الجاحظ في رسائله والتي أنصبت حول جانب مهمٍ من جوانب شعره والمتعلقة بأثر دلالة الشخوص عنده وبعد الخروج بنتائج قيمة،زادتنا تلك التجربة حماساً وشوقاً إلى الولوج في مقاربة نقديةٍ أخرى لاسيما وأن هذا الشاعر الكبير لم يدرس بهذه الزوايا التي تناولناها وبهذه الكيفية من النقد والتحليل لنصوصه الشعرية،فضلاًعن أن دراستنا هذه المرة تدور رحاها عن (معجم الحيوان) في نسيجه الشعري؛لأنه من المواضيع التي كانت تلوح في أفق المدونة الأدبية عند هذا الشاعر،وكان السؤال الذي يتردد دائماً ونحن في خضم البحث: ماهي الظروف التي تدفع بهذا الشاعر لسرد الطبيعة المتحركة المتمثلة بالحيوان بكلٍ أصنافه في بنيته الفنية ؟.

وللإجابة عن هذا السؤال وللكشف عن حيثياته اتبعنا في هذه الدراسة منهج الحقول الدلالية والقائم على الرصد والاستقراء والتحليل أيضاً؛لأنه من أنجع الأساليب والمقاربات النقدية القادرة على كشف أسرار النصوص .

أولاً: معجم الحيوان :

أ: الحيوانات المفترسة :

وسنقف حسب الرصد والاستقراء على دال(الكلب) حيث ورد هذا الحيوان في

دلالات متنوعة ومستوحاة خرجت عن المعنى المعمول به من إيضاح للمعنى وتأكيده في الذهن إلى أنَّها أصبحت حالة شعورية تنبع من أعماق المعاني الموحاة من الشاعر والمتخيلة من القارئ لما في الصورة التي يأتي فيها من دفق شعري فيَّاض.(١)

ومما جاء في الرسائل قولُه(2) :

كذلك أهلُ الكهفِ في الكهفِ سبعة كرامٌ إذا عدّوا وثامنُهم كلبُ

فالشاعر عمد إلى دال الكلب بعد أن جعل منهُ رمزاً مقدساً مرافقاً لأهل الكهف في هذا النص فالواقع الخارجي أصبح انعكاساً لوجدانهِ للنيل من المهجو.(٣)

ويقول أيضاً (٤):

صدَقه، إنْ قال وهو محتفل إنّي من تغلبٍ فما كذبا

من ذا يناويه ِ في مَناسبِه فما أسْتُ كلبٍ يرضى بذا نسَبا

هنا تحول دال الكلب من الرمزية المقدسة إلى دال يمثل انحطاط القدر ودنو المرتبة ،فالمنتج جعلهُ الأداة التي تعبر عن مشاعر الغضب التي يمر بهاالكاتب.

ويقول هاجيا (٥) :

ونبئتُ كلباً من كلابٍ يسُبّني ومحضُ كلابٍ يقطع الصلواتِ

فإن أنا لم أُعلِم كلاباً بأنّها كلابٌ وأنّي باسلُ النقماتِ

فالمبدع استطاع أن يوظف المفارقة الجناسية لينال من خصمه ويقلل من منزلته فجاءت لفظة الكلب خمس مرات للتعبير عن سخط الشاعر . فدال الكلب في هذا النص وبقية النصوص أدى الرسالة المقصدية التي ابتغاها الباث من تحقير للمخاطب وأهانته فأصبحت :(صوت يحمل قيمة عضوية في النسيج الشعري عند المرسل) (٦).

وفجأة يتحول دال الكلب إلى رمز من رموز الكرم والضيافة عندما يتحدثالأديب عن نفسه ومنه يقول(٧):

إذا نبحَ الاضيافَ كلبي تصبّبتْ ينابيعُ من ماءِ السرورِ على قلبي

فالقاهم بالبشرِ والبرِّ والقِرى ويقدُمُهم نحوي يُبشِّرُني كلبي

ويقول أيضا(٨) :

ويدلُّ ضيفي في الظلام على القِرى إشراقُ نَاري أو نُباحُ كلابي

حتى إذا واجَهْتَهُ ، ولقينهُ حيّينه ببصابصِ الأذنابِ

فتكادُ من عِرفانِ ما قد عُوِّدتْ من ذاك،أن يفصحنَ بالتِّرحابِ!

فالقارئ للنص يرى أن دال الكلب لم يتحول إلى رمز من رموز الكرم والبشرى بقدوم الضيف فقط بل أصبح يؤدي التحية إلى درجة الإفصاح بالترحاب كما يظهر ذلك جليا في النص وهنا قمة المبالغة في توظيف هذه الدلالات.

ومن الملاحظ هنا إن الكلمة لها تأثير كبير وفعال غاية الفعالية في العمل الإبداعي بحيث استطاع الشاعر استقدامها؛لأنها في نظره الثاقب : (إشارة قابلة لكل أنواع الدلالات ومهيأة أن توظف نفسها في أفق السياق الشعري المتجدد)(٩) .

فنرى لفظ الكلب أخذ عدة دلالات يمكن توضيحها بالمخطط الآتي :

مخطط رقم (١)

وعندما نتحول لدال الأسد فقد كان رمزا للقوة والشجاعة ورباطة الجأش حيث كان يقول في مدح الإمام علي (ع)(١٠) :

مبـــــارزٌ مـــــا يرهـــــب وضـــــيغمٌ مـــــا يغلـــــبُ

فالشاعر حاول التحكم في النص لإظهار ما في نفسه من لواعج باستخدام مفردات الطبيعة المتحركة المتمثلة بالأسد لأحداث الانفعال وإثارة الدهشة لدى المتلقي .فضلا عن الصورة البيانية الاستعارية التي اعتمدها في مدح الإمام و التي زادت النص قوة وجمالا.

وهذا بطبية الحال كان في السياق المدحي الايجابي ،أما إذا كان في السياق الهجائي السلبي فسيكون هناك تحول في الاستخدام الدلالي لهذه المفردة كما نرى في قوله(١١):

يـــامَنْ أُشَـــبهها بحمّـــى نـــافض قطّاعـــة للظهـــر ذات زئـــير

فالشاعر هنا لجا إلى الزئير وهي صفة من صفات الأسد في هجاء أنثى ليتحول الخطاب من علامة لأخرى فالزئير علامة من علامات الخشونة والقوة وهو معاكس لصفت الأنثى من الرقة والنعومة التي تتمتع بها المرأة وذلك بمايتلائم مع الغرض المستقدمة لأجله، وهذه الاستخدامات كانت عناصر خيالية فعّالة ارتقت بالذات المبدعة للمرسل(١٢) .

ويقول أيضا في عجائب الدهر(١٣) :

ما أعجب الدهر في تصرّفه والدّهرُ لاتنقضي عجائبه

فكمْ رأينا في الدهرِ من أسدٍ بالتْ على رأسهِ ثعالبه'

وهنا يبتعد الشاعر عن عالم المحسوسات ليخاطب عالم المعنويات والمتمثلة بالزمن(الدهر) في التفاته غاية في الروعة تظهر سخط الشاعر على الزمن في هذا النص ،وكان المعين في تقريب مشاعر المنتج هي الطبيعة الخصبة التي لاتنضب متمثلة بالأسد كعنصر ورمز للقوة مقابل الثعلب كعلامة من علامات الضعف والهوان

والنهاية الغير متوقعة التي ينتهيها الأسد أمام الثعلب في مقاربة تصويرية يراد منها إن لاأمان في هذا الزمان لأي شيء فعلى الإنسان أن يعتبر وأنْ لاينساق وراء مغريات الدهر ويحذر الغرور في هذه الحياة الغادرة .

وكأن دال الأسد ودال الثعلب باتا منسجمين في تقريب الواقعة المعنوية التي يراد إيصالها للمتلقي لدرجة تكرارهما من قبل الشاعر حيث يقول في هجاء قوم(١٤) :

أُسودٌ إذا ماكان يومُ وليمة ولكنّهم يوم اللّقاءِ ثعالب

يلاحظ القارئ مدى الاستفادة الهائلة لمفردات الطبيعة من قبل الشاعر في مجمل الأغراض الشعرية ومنها الهجاء هنا حيث شبه مناوئيه بالأسود في أكل الولائم دلالة على الشراسة والشراهة والقوة في تناول الأطعمة والولائم أما في ساحات الوغى والقتال ومواقف الرجال فهم ثعالب سريعو الهروب وعديمو الصبر في مواجهة الخصم .

من هنا نلاحظ إن الصورة جاءت متدفقة من تجربة الشاعر وبيئته (١٥) .

وبإمكاننا توضيح الدلالة المستوحاة من مفردة الأسد من خلال المخطط الآتي

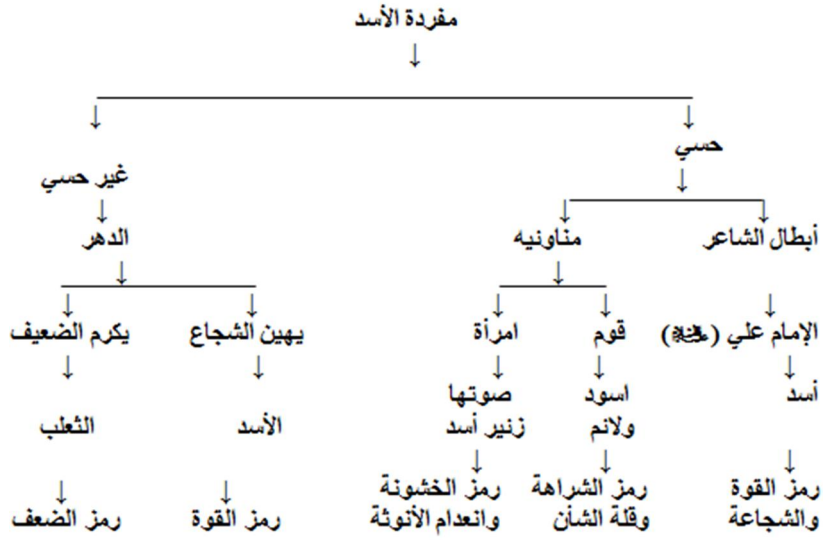

من خلال هذا المخطط يرى القارئ أن الأديب بنى نسيجه الفني من خلال منح الطبيعة المتحركة مجالاً واسعاً في إبداعه ووجدانه لأجل التعبير بدقة عما يجول في ذهنه وهذه هي غاية الإحساس التي يمتلكها الشاعر بما حوله.

أما عندما ننتقل للذئب فقد جاء هذا الدال حاملا في طياته (رمزاً سياسياً) واضحاً فقد اقتصر وروده على نعت خلفاء بني أمية وبني العباس بهذا الدال فقط لان القضية لها ارتباط بمعتقد الشاعر وتفكيره ؛وذلك لقسوة ماتعرض لهُ أهل بيت النبي (ع) على يد هؤلاء الخلفاء ومنها يقول(١٦) :

ياأُمة السّوءِ ما جازيت أحمدَ عن حسن البلاء على التّنزيل والسّور

خلفتموهُ على الأبناء حين مضى خلافةَ الذّئب في أبقارِ ذي بقر

فالمشاهد يرى الدلالة المتولدة من هذا الخطاب تدل على إن الذئب اخذ رمزية الفتك والغدر وخيانة الأمانة ؛ لان الدوال يتحدد مدلولها ورمزيتها وفقا للسياق اللغوي الذي يحويها، بحيث يكون اللفظ جزءاً من السياق ككل(١٧).

أما إذا عرجنا على دال البقر كجزء من الدراسة فاءنها تشير كما تؤكد المصادر إلى الخصوبة وسقوط المطر(١٨) ،ولتصل الدراسة إلى ابعد من ذلك وهو رمزية الخير والعطاء ، من هنا تنشأ من خلال هذين الدالين جدلية محورها دال الذئب ودال البقر في بنية النص عند دعبل الخزاعي يمكن توضيحها من خلال المخطط الآتي

مخطط رقم (٣)

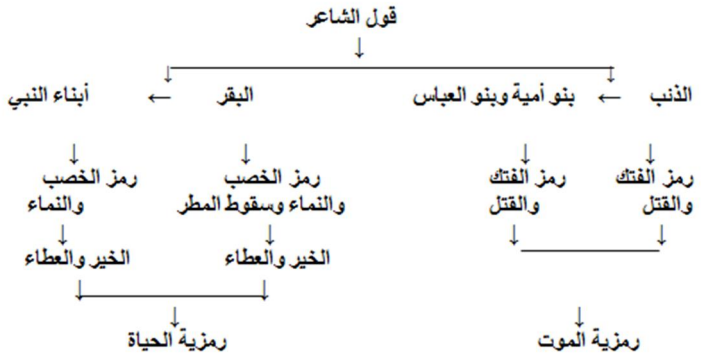

وفي موضع آخر يقول(١٩) :

دعتهم ذئابٌ من أُمية وانتحت عليهم دراكاً أزمةٌ وسنونُ

وسموُا رشيدا ليس فيهم لرشده وها ذاك مأمونٌ و ذاك أمينُ

يلاحظ الناظر هنا إن لفظ الذئب لعب دوراً أساسياً في البنية الإبداعيةللاديب ونقل التجربة الإنسانية التي تنتابه بل حاول الشاعر إن يختصر هؤلاء الظالمون لأهل البيت بمدلول الذئب وما

يحملُ من صفاتٍ لعله يوصل رسالة تقرُ في خلدِ المتلقين ؛بما لهذا الدال من رصيد نفسي عندهم(٢٠).فضلا عن الموائمة بين الشكل والموقف الذي قيلت فيه (٢١) .

من خلال ماسبق من الحديث عن الحيوانات المفترسة نرى إن البيئة هي مداد الأديب فيعبر عن قلقه وأمله تعبيراً صادقاً ومخلصاً وتعبيراً حياً في نقل الأحاسيس التي يمر بها (٢٢) .

ب - الحيوانات الأليفة :

ومن الحيوانات الأليفة التي وردة بشكل جليّ عند الشاعر هو دال (الخيل) فقد وردة في هرم النسيج الشعري عنده، فضلا عن التنوع الدلالي ومقتضى حال السياق الذي تتشكل فيه.ويمكن تصنيفها بالمخطط الآتي :

مخطط رقم (٤)

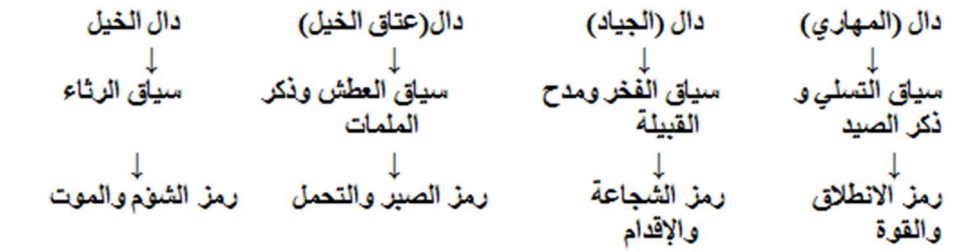

ومنها قوله(٢٣) :

ما دواءُ الهُمُومِ إلا المهارى تُعتلى في التنوفةِ الملساءِ

حيث يرى القارئ أنّ دال(المهاري) جاء دالا على الانطلاق والقوة والشباب بعيدا عن الهموم والأحزان هذا من جانب أما الجانب الآخر فقد كانت موجودات الطبيعة والعلم الخارجي حاضرة دائماً وبكامل ثقلها في وعي الشاعر وروحة لا خارج نفسه (٢٤) .

ويقول أيضا(٢٥) :

سقينا عِتاقَ الخيلِ منه فلم تذق سوى مَذقةٍ لم ترو غُلّة شارب

هنا تحولت الدلالة في هذا الخطاب كما يرى المشاهد في لفظة (عتاق الخيل) لتدل على قوة التحمل والصبر عند هذه الخيول وتتحول هذه الدلالة بدورها لتكون انعكاساً لشخصية الشاعر الصبورة القوية عند التعرض للشدائد والملمات.فهذه الدوال جعلت النص ينمو بعلاقات هرمية تتشابك بها سائر عناصره ليكون الدلالة الكلية(٢٦).

وينشد قائلا(٢٧) :

أرضُ التّبابعِ والاقيالِ من يمن أهلِ الجيادِ وأهلِ البَيضِ والزّرد

نلاحظ إن لفظ الحياد في هذا النص جاء دالاً على الشجاعة والإقدام وهي أعلى مرتبة في تصنيف الشاعر من حيث الدلالة والتأثير في النفس ؛لان الشاعر استطاع نقل إحساساته من خلالها .

ونراه يقول(٢٨) :

يا جَدُّ ! ذا صدرُ الحسين مُرضّض والخيلُ تنزلُ من عليهِ وتْصَعدُ

فالناظر يرى أنَّ لفظ (الخيل)جاء وهو يحمل خبر السوء والموت ؛لأنها تصعد على الجسد الشريف الطاهر للإمام الحسين (ع)،فنرى من خلال هذا إن وجود هذه

الدوال لهُ القدرة على الإيحاء بالصورة القاتمة للخطاب الأدبي وما يحويه من مضمون مأساوي .

وعندما نلتفت إلى جانب آخر من جوانب معجم الحيوان لنتناول دال الناقة فنرى أنها أخذت حيزاً من مدونة الشاعر لما لها من تأثير في معاني وأغراضه ومنها يقول(٢٩) :

فمتى أُوثرُ النِّساءَ على العي س ِ فأصبحتُ دامي الانسا ءِ

فالشاعر عندما تحدث عن نفسه ذكر العيس وهي علامةٌ من علاماتِ الافتخارِ بالنفس فلجا إلى كرائم الإبل ليعبر عن ذاته من خلالها فهي علامة من علامات الخير والنماء في هذا السياق الشعري .

ويرى المستقبل للنص إن دوال الحيوان كما هو ملاحظ قد تجلت لتستوعب أحاسيس المنتج بل تعدتهُ لكشف معنى أعمق من المعنى الظاهري عن طريق ميزة الإشارة .

وعندما ننتقل إلى غرض الهجاء فان الشاعر يصب جام غضبه على المهجو وخاصة إذا كانت أنثى فيشبهها بالجمل كأقسى أنواع التشبيه ويرسم لها لوحةً تصويريةً غاية في القبحِ

كقولهِ(٣٠) :

يارُكبتي خُزز ٍ وسَاقَ نعامة وزبيلَ كنّاس ٍ ورأسَ بعير ٍ !

فالمتلقي يرى أن دعبل شبه رأس الجارية برأس البعير ليحطم بذلك مشاعر المهجو من جانب ومن جانب آخر تكن هذه الدوال محركات للنص يتنفس من خلالها مختلف عواطفهُ وأهواءهُ حتى أضحتْ رسائل تصويرية ناجعة أتقنها الباث وأجاد استخدامها للتأثير في الجمهور .

بينما يتغير المشهد الوصفي في مسرح النص الشعري عند المنتج في وصف جارية في موقف آخر حيث يقول(٣١):

وثغـــرٍ إذا كشَّـــرتْ خِلْتَـــه تَخـــالُج فانيـــةٍ مُعلقـــة

والملا حظ هنا أن وصف الجاريات القبيحات في نظر الشاعر أصبح مرتبطاً بالناقة كعلامة قُبحٍ وسماجةٍ وانعدام جمالٍ ؛محاولةً منهُ لبناء نسقٍ مشحونٍ بالخيالِ يضفي على النسيج الإبداعي روعة وسحراً ،فضلاً عن التوظيف المميز لمفردات الطبيعة .

ويرى الناظر هنا تجلي شخصية الشاعر في تمكنه من أدواته الشعرية واختياره البارع للألفاظ والدوال التي تناسب المقام الذي تقال فيه بحيث تعطيك ألوانا متعددة وبحسب الزاوية التي توجه نظرك فيها .

ومن الدوال التي وردت عند دعبل الخزاعي وكانت تحمل طابعاً مميزاً هودال (البغل) حيث وردت في هجاء الحسن بن وهب ومنه يقولُ (٣٢) :

بأنّ ابنَ وهبٍ حين يشحجُ شاحجٌ يمرُ على القرطاسِ أقلامَ غالط

أحبَّ بِغالَ البُردِ حُبّاً مُداخلا وعادَ إلى غِشيانِها في المرابط

ولولا أميرُ المؤمنين لأصبَحت أُيور بغالِ البُردِ حشوَ الخرائط

ويقولُ أيضاً (٣٣) :

من مُبلغٌ عنّي إمامَ الهُدى قافيةً للعرضِ هتّاكةْ ؟

أضحتْ بِغالُ البُردِ منظومة إلى ابنِ وهبٍ تحملُ النّاكهْ!

فيرى القارئ إن دال (البغل) اقترن بابن وهب بغضاً وشدةً في العداوة من جانب ومن جانب آخر جعلهُ رمزاً للجنس القبيح ليكون أكثر إيلاماً وتأثيراً في المخاطب ،وفي كلتا الحالتين عبرتْ دوال الطبيعة المتحركة عن مضامين نفسية تنتاب الشاعر.

وعند الانتقال لدال آخر وهو دال (المطية) ،ودال(الحمار)،فقد كان لحضورهما دوراً مميزاً للتعبير عن خلجات الشاعر بحيث أضحت معادلاً نفسياً لما يجول في

خاطر الشاعر وكانت تحمل في طياتها مكنوناً دلالياً يفصح عن معناه من خلال السياق الواردة فيه ويتضح ذلك جلياً عند قول الشاعر(٣٤) :

ودَويّةٍ أنضيتُ فيها مطيّتي وجيفاً ،وطرفي بالسّماءِ موكل

سمعتُ بها للجنّ في كل ساعةٍ عزيفاً كأنّ القلبَ منه مخبّلُ

فدال (المطية) كان معادلاً عن معاناة الألم التي يعانيها المبدع لان الشاعر الحق هومن يستطيع أن يستثمر كل المؤثرات الخارجية للتعبير عن تجاربه التي يمر بها فكل شيء حوله هو رمز يثير حالة شعورية وشعرية معينة(٣٥) .

وقال راثياً (٣٦):

فقد حَمَلتهُ للقبورِ مطيةٌ أنافتْ بهاديهِ على شخصِ بابكِ

يجد القارئ إن دال المطية جاء مقترنا دائما بمواقف الألم والمعاناة التي تنتاب المنتج وكأن الكلمات تفرضها المواقف الانفعالية التي تواجه الباث(٣٧) .

أما دال الحمار فقد جاء عند الشاعر ملازماً للخلفاء بصورةٍ عامة ومن ينْهى عن زيارة أهل البيت منهم بصورة خاصةٍ ومنهُ يقول(٣٨) :

زرْ خير قبرٍ بالعراقِ يُزار واعصِ الحمارَ فمنْ نَهَاكَ حِمار

ويقول أيضاً (٣٩):

أنت الحمارُ حرونا إن رفقتَ به وإنْ قصدتَ إلى مَعروفه قمَصَا

فالمتتبع يرى الاستخدام المقصود والمتألق من قبل الشاعر للتعبير عن إغراضه الشعرية بروية وقصديةٍ متناهيةٍ في الدقة فقد جاء دال الحمار ليحط من قدر هؤلاء الخلفاء ويظهر للناس غبائهم ووضاعتهم وانحطاط منزلتهم وإنهم تولوا مقاليد الأمور وهم ليسوا أهلاً لها ،وقد ساعدت الصورة البيانية في كلا المشهدين من إبراز المقدرة الفنية للأديب وقدرته الإبداعية ،فضلا عن إيصال الإرسالية بمشهدٍ أكثر تأثيرا وإيضاحا .

وتظل كما نرى هذه الدوال تمثل حجر الزاوية في العمل الشعري عند ه بل تفوق ذلك لتشكل نظاما رمزياً مليء بالمفاجأة والإبداع (٤٠) .

ومن الأمور التي كانت تظهر شاعرنا دعبل الخزاعي بكل إحساساته فنحس به حين يكون قلقاً وحين يكونُ منطلقاً بالأمل هو ذلك الإحساس المدهش بالألفاظ والدوال التي يرفد بها نصه الشعري فنراه عندما يذكر أهل البيت(ع) يلجا إلى دال (المها) وهذه المفردة بطبيعة الحال كانت معادلاً وقريناً مؤثراً للمقرون به وهم آل النبي الأكرم (ص) ومنهُ يقول(٤١) :

فاسعدنَ أو أسعفنَ حتى تقوضت صفوفُ الدُّجى بالفجرِ منهزماتِ

على العرصاتِ الخالياتِ من المها سلامُ شجٍ صبٍّ على العرصا

ويمكن توضيح مقصدية الشاعر من خلال المخطط الآتي :

مخطط رقم (٥)

فالشاعر بوقوفه على الطلل في هذا النص ما هو إلا باعث على ما في الوجدان من احتباس للألم الذي يعانيه الشاعر جراء فقده لأهل البيت (ع) فعدم إيجادهم هو فناءٌ وموتٌ وحزنٌ ورحيلٌ معاً فضلاً عن القلق الدائم الذي ينتابهُ وبالتالي فغياب (المها) هنا يرسم لنا لوحةً تكون طبق الأصل لنفسه المتشائمة ، فالديار خالية مهجورة تهيج المشاعر وتبعث الحزن والأسى ولكن شاعرنا دعبل الخزاعي يقف وبوقوفه تحدٍ واضحٍ وصارخٍ للموت والفناء والحزن والرحيل ،وبالتالي فهو مناهضٌ لكل أشكال الفناء .

يلاحظ الناظر لهذه اللوحة المعبرة إن الشاعر أجاد نقل إحساساته من خلال مفردات الطبيعة المتحركة؛ لان الفنان الناجح:هو ذلك الفنان الذي تتسرب شخصيته من خلال آثاره بحيث تسمع

نبض قلبه ودبيب خواطره وهواجس نفسه، حيث قدم لنا وحدة حية نابضة وخلق عملاً فنياً جديداً فيه من نفسه وفيه من مشاهداته(٤٦).

لذا لم يبالغ حين قال احدهم :ان الشعر الذي يستند إلى الطبيعة :(هوا خلص ألوان الشعر .....جوهرا وأصدقه شعوراً وتعبيراً)(٤٧) .

وسنعرض في الجدول الآتي لأهم دوال الحيوانات التي وردة عند الشاعر والتي لم يتسع المجال لذكرها وهي كالآتي :

الدال	الدلالة	الديوان
الفيل	للمبالغة والفخامة	١٥٦
الشاة	رمز الخير والعطاء ودوموة الحياة	٣٨
الكبش	رمز القوة	٧٥،٢٢٠
الأرنب	رمز الضعف والهوان	١١٠

ثانياء : معجم الزواحف والحشرات :

١/ الزواحف : لقد كونت الزواحف مكوناً مهماً من مكونات البنية الإبداعية عنده بل عنصراً مؤثراً في نسيجه الشعري ، ومن أهم تلك الزواحف التي وردة عنده هو دال (الحية) حيث ا اقترنت بشخصية المبدع نفسه ومثلت بذلك القوة والشجاعة والعنفوان ومنه يقول(٤٨) :

عبثاً تُمارس بي ،تُمارس حيّة سوّارةً ، إنْ هِجتها لم تلبث

فالناظر يرى المنتج عمد إلى هذا الدال (الحية) وهو رمز للقوة كما يظهر جلياً من خلال النص فالشاعر استخدم مكتسبهُ المعرفي المخزون في ذاكرته عن هذا الدال ومدى تأثيره في المخاطب والجمهور على حدٍ سواء (٤٩) .

ويقو أيضاً (٥٠):

مُستصحبٌ للحربِ خيفانة مثل عُقاب السرحةِ العادي

وأسمرُ في رأسهِ أزرقٌ مثل لسانِ الحيّة الصّادي

يرى الملا حظ هنا أن دال الحية جاء رمزاً للقوة والعنفوان في هذا النص في مشهد بياني تشبيهي ؛ولأسباب إستراتيجية كان هدفها التأثير في السرور التواصلية من اخذ العبارة إجراءاً اقناعياً للقارئ والمستمع(٥١) ،ومنهُ قولُهُ(٥٢) :

ونحلٌ في أكناف كلّ ممنع حتى نُذلل شاهقاً لم يُصعد

إن ألترات مسهّدٌ طُلابُها فأكففْ لِعابك عن لِعاب الأسودِ

يلاحظ القارئ مدى تغلغل هذه الألفاظ في تركيبة الشاعر العقلية والنفسية لتصبح مؤشرات تظهر درجة الاستعداد الذهني للمتكلم، وللموقف الذي يمر به، وللانفعالات التي يريد أن يعبر عنها لمستقبليه في لحظةٍ نفسية معينة، ولتغدو من المميزات الأسلوبية التي يتصف بها دعبل الخزاعي .فجاء لعاب الأسود (الأفعى)إشارةً إلى القوة والشر الكامن فيها كوعيد منه لمناوئيه وأنّهم بصدد خصم

عنيد .فنرى إن هذه الدوال سمت بسمو بيانها وقوة تعبيرها وروعة أدائها وتباين أسلوبها على وفق مقتضى الحال (٥٣).

ويعد دال (الحية) من الدوال التي شملها التحول الدلالي بعد أن كانت تدل على القوة في موقف أصبحت رمزاً للهم والألم في موقفٍ آخر ومنها قوله (٥٤) :

أرقتُ لبرقٍ آخر الليل منصب خفيٍّ كبطن الحيّةِ المُتقلّب

نلاحظ هذا التغير الدلالي جلياً هنا فالشاعر يعبر عن البرق في آخرا لليل ما يحويه من هموم وآلام كأنهُ بطن الحية المتقلب وهنا تحول دال الأفعى كرمز للشؤم والألم أيضاً ،وكثيراً مايعيد الشاعر صياغة ماينتجهُ في وجدانه ويصبغهُ بخصوصيته الداخلية الفردية فيصل من الصياغة المادية إلى الصياغة الروحية (٥٥) .

وجاءتْ دالةً على الشر في قولهِ (٥٦):

يابؤسَ للفضلِ لو لم يأتِ ماعابه يستفرغُ السُمّ من صمّاء قرضابهْ

فالمنتج عبر عما يجول في ذهنيته معززاً ذلك بلوحة فنية معبرة من خلال (الحية)لينال من مهجوه ، وبالتالي فروح الباث تنبعث من لغته وأسلوبه (٥٧)،واللغة بهذه الصورة مدينة بحركتيها،وشعرها ،لإبداعية المتكلم الشخصية ولواقع التجربة الإنسانية التي يمر بها ذالك المبدع (٥٨) .

٢/الحشرات :

أما عند الحديث عن صنف الحشرات نرى الشاعر يبدع ويخلق صوراً مبتكرةً ليقدم لوحة فنية ممزوجةً بخلجات نفسه المنفعلة،ومنها عندما يهجو قينة عبد الملك الزيات فيقول(٥٩) :

إنّ ابنَ زيّاتٍ لهُ قينة أربتْ على الشيطانِ في القبح
سوداءُشوهاءُلهاشعرةٌ كأنّها نملٌ على مسح

فالقارئ يرى المبدع قد قدم صورة فنية قوامها التشبيه لإبراز قبح القينة التي يملكها الزيات مستندا في إبراز ما يجول في نفسه إلى مفردة من مفردات الطبيعة ألا وهي (حشرة النمل) .

ويمكن إبراز مايقصده المنتج من خلال المخطط الآتي :

مخطط رقم (٦)

فالشاعر كما نرى يلجأ إلى هذه الدوال للتعبير عن التجربة التي يعانيها، فهي بمثابة اللحظة المؤسسة لأي لغة لأنها تعين على إعادة إنتاج الواقع (٦٠) من خلال تشكيل الصورة.

وبناء الإيقاع (٦١) .

لذلك أصبحت دوال الحشرات تمثّل بدائلهُ ومواد تصويره(٦٢) ،فهي تكسب النص قيمة دلالية إن لم تكن باعثةً على الإثارة والتأثير للقراء والمستمعين على حدٍ سواء (٦٣) ، ويقول أيضاً في الهجاء :

قبائلُ جذٌّ أصلهُم فبادو ا وأودى ذِكرهمُ زمناً فعادُوا

وكانوا غرّزوا في الرمل بيضا فأمسكهُ، كما غرزَ الجرادُ

فلمّا أنْ سُقوا دَرَجوا ودبُّوا وزادُوا حينَ جادهُم العِهادُ

هم بيضُ الرمادِ يُشقُّ عنهم وبعضُ البيضِ يُشبهُهُ الرّمادُ

فالناظر يرى المنتج عندما يريد أن يصب جام غضبه على احد يلجا إلى مفردات الطبيعة المتحركة لا سيما الحشرات كما يتضح في هذا المثال لأنها عبارة عن استدعاءاتْ عما يجول في ذهنيته .

فهنا استخدم دال (الجراد) للنيل من مهجوه والتعبير عن لحظة الألم التي يعانيها من المخاطب بطريقة فنية وجمالية معاً، ويمكن توضيح الدلالة المتولدة من هذا الدال من خلال المخطط الآتي

مخطط رقم (٧)

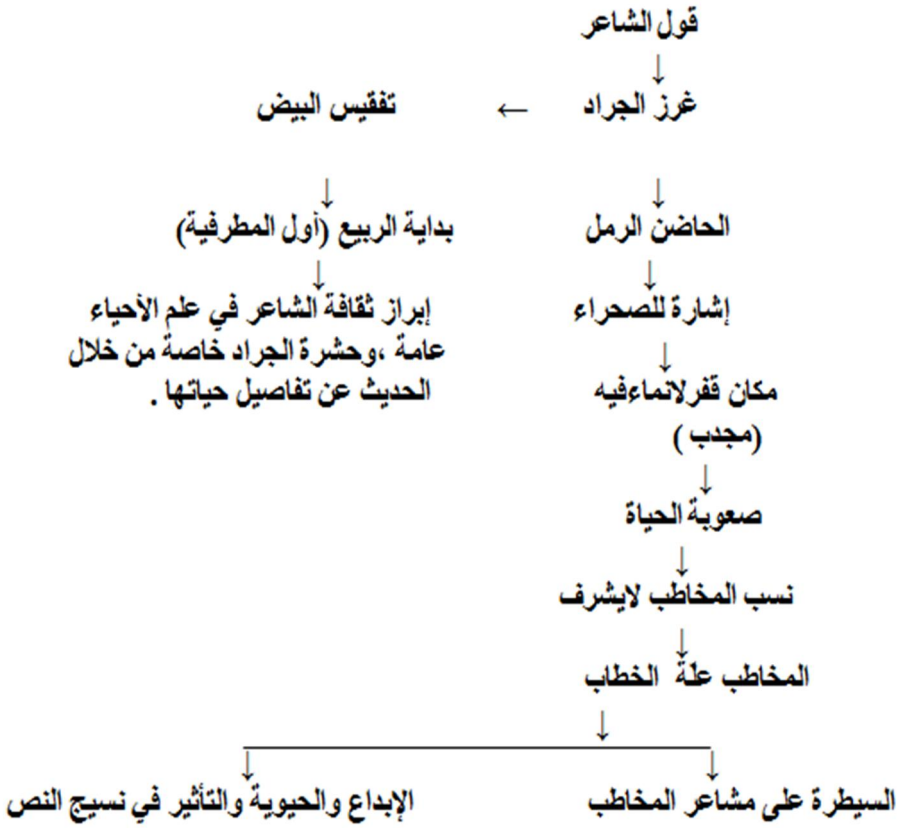

فالباث كما نرى في المخطط نظم نسيجه الفني على منح الطبيعة المتحركة (الحشرات) مجالاً في إبداعه ، فالصورة الهجائية جاءت مكتملة الأركان ومثيرة بلجوء الشاعر إلى هذه الدوال ، ولان الفن هو الذي يكون أقنعته المميزة التي يعمل بواسطتها للتأثير في الجمهور ، فدعبل كان فنانا في هذا المجال من اختياره للألفاظ المنسجمة مع السياقات التي ترد فيها (٦٥) .

وعندما ينتقل لمشهد هجائي آخر نراه يقول :

يامنْ مُعانِقها يبيتُ كأنه في محبسِ قملٍ ، وفي ساجُورِ !
قبلتُها فوجدتُ لدغةَ ريقها فوق اللسانِ كلسعةِ الزُّنبُور

فالملاحظ يرى أن المشهد التصويري هذا والذي هاجم فيه الشاعر إحدى النساء بني على دوال الحشرات حيث ذكر في بناءه لهذا الخطاب على دالين هما : (القمل ، الزنبور) ، وهذا يدل كامل الدلالة على الإحساس المرهف الذي يمتلكه الشاعر من التمعن والتفكر بما حوله من مفردات الطبيعة ؛ محاولا الإفادة من طاقتها الإيحائية وما يمكن أن تمد النص به من إيقاعها وجرسها فضلا عن مدلولها ومعناها وهذا على مستوى اللفظة من جانب أما الجانب الآخر فهو ماتفضيه من طاقتها على الخطاب العام ككل .

أما عند تناول هذين البيتين بالتحليل للوقوف من خلال ذلك على إبداعية وبراعة الشاعر في بناء مدوّنته الأدبية فيمكن أن نستشف إن لجوء الشاعر إلى الحشرات هنا وجعلها ومصطلحات الحب والهوى والمشاعر الوجدانية في نسيج واحد لأجل ما يأتي :

١_ الاستخفاف والاستهجان من المهجوة بطريقة الإيهام من خلال اللفظ الأول وهو (العناق ، التقبيل)، ثم إحداث صدمة للمخاطب باللفظ الثاني وهو:(محبس القمل ،لسعة الزنبور) .

٢_إبراز ثقافة الشاعر في الجمع بين الفعل السلبي (محبس القمل ،لسعة الزنبور) ، والفعل الايجابي (العناق ،التقبيل) .

٣_ صراع الشاعر بين العناق والتقبيل واللذان يمثلان قمة التوهج العاطفي ورمزا الحياة من جهة وبين محبس القمل ولدغات كلسعات الزنبور من جهة وهما رمزا العذاب والألم أي يعني الشاعر الموت و الجدلية باتت واضحة لأنها تعبر عن صراع بين الحياة والموت .

٤_ قتل الأنوثة والجمال عند المخاطبة في آنٍ واحدٍ وقد استطاع الوصول إلى ذلك المبدع من خلال هذه الدوال والألفاظ المؤثرة .

٥_ إتقان الانتقال من مكانية الحضور عند العناق والتقبيل إلى مكانية الحضور عند محبس القمل ولسعة الزنبورفي صورة تشبيهيه تنم عن براعة في الأداء وروعة في النسج الفني والجمالي .

وهكذا نرى إن هذه الدوال التي نظمت في النص كانت مجموعة من الإشارات الشاعرية توحي وتنفث سحرها في مخيلة القارئ لتصنع أثرا جماليا يتمدد (٦٧).

فضلا عن كونها قيمة شعرية تفتح إمكانيات النص للمتلقي (٦٨) من جانب ،وبؤرة لتوليد المشاركة الوجدانية بين الشاعر والمتلقي من جانب آخر

أما بقيت الدوال الدالة على الحشرات فيمكن عرضها من خلال الجدول الآتي :

جدول رقم (٢)

ت	الدال	الدلالة المستوحاة	الديوان
١_	خنافس	الاهانة والتحقير للمخاطب (رمزا لاتعدام الحياة)	٨٦
٢_	الذباب	النيل من المهجو(الذباب رمز الحيوية والحركة)	١٩٦
٣_	البعوض	سياق هجائي ينال من المخاطب جاءت رمزا للذات ورمزا للتحدي	٢١٩

ثالثاً : معجم الطيور :

وقد جاءتْ مصطلحات الطير ودلالاته معززةً للدلالة الكلية في السياقات والنصوص التي ترد فيها بل كانت انعكاسا لما يعانيه الشاعر من حالات نفسية وانفعالية تنتابهُ

ومنها قولهُ (٧٠) :

طلعتْ قناتُك بالسعادةِ فوقها معقودةً بلواءِ ملكٍ مقبل

تهتزُّ فوقَ طريدتين ،كأنما تهفو يُقصُّ لها جناحا اجدل

جاءت هنا دلالة الطير وهو (الصقر) بلفظ الاجدل معادلا عن عبدالله بن الطاهر كرمز للقوة والشجاعة والكبرياء بعد أن جمع بين القناة رمز الحرب والشجاعة وبين الملك رمز الكبرياء والسلطة .فجمع الصقر بينهما في لوحة تصويرية تميزت بقوة الخيال الذي هو عماد العمل وشكله(٧١)، حيث مزج المنتج الأشياء هنا وصهرها بعضها بالبعض الآخر ليخرج لنا هذه

اللوحة الفنية المتماسكة التي بث فيها النغم والروح التي وحَّدتْ بين الأركان المكونة لهذا المنتج الشعري .

ويقول أيضاً في مدح آل الرسول(٧٢) :

صلى الإلهُ عليكمُ يامنْ (.....) مادامَ طيرٌ في السماءِ يغردُ

فالقارئ يرى دال الطير ورد للدلالة على (الحياة ،والعطاء ،والأمل)، في إشارة لمجيئه مع أهل البيت (ع)الذين يحملون هذه المعطيات نفسها ، وهذه تظهر مدى التأثر النفسي والإبداعي لاستخدام الألفاظ عندالجاحظ.

ويقول مفتخراً (٧٣):

قالتْ سلامةُ: دع هذي اللبونُ لنا لصبيةٍ ،مثلَ أفراخ القطاْ ،زغبا

فالشاعر اعتمد هنا كما يلاحظ الناظر في تشبيهه لأطفاله في حاجتهم وصغرهم بأفراخ القطا

،ولكن رغم ذلك قام وذبح تلك الشاة اللبون التي تسد جوعهم ورمقهم وقدمها للضيف ،في مشهد تصويري بارع ، سطر فيه اعلى درجات الكرم ،وقري الضيف .

وقد لعب دال (القطا) دوراً مميزاً كمفردة من مفردات الطبيعة المتحركة ، حيث جاءت في سياق تمجيدي، وحاملة لطلب الشفقة والحنو والعطف ،وقد أضفت على شعره مزيجاً من العاطفة ،والمشاعر الجيّاشة التي تؤثر في المتلقين.

إذن نلاحظ أن الشاعر يلجا إلى دوال الطبيعة المتحركة بكل أصنافها وأنواعها ومنها الطير في أوقات الافتخار والانتصار وكل المواقف الايجابية،والتي تتسم بطابع السرور ؛ لتعزيز بنية النص وخاصة في أغراض الفخر مثلاً ،وكذلك في مواقف الهزيمة والانكسار لاسيما في غرض الهجاء ؛ كردةِ فعلٍ طبيعية للتعبير عن آلامه وفسحةٍ وحيزٍ للنيل من مهجويه ، فنراها في كلتا الحالتين خير معينٍ لملأ رغبات المنتج والتعبير عما يساوره .

ومن دوال الطيور التي ذكرتْ ويمكن عرضها من خلال الجدول الآتي :

جدول رقم (٣)

ت	الدال	الدلالة	الديوان
١_	النعامة	دلالة قبح (سياق هجاء)	١٤٥
٢_	الحمام	دلالة خفة العقل (سياق هجاء)	١٤٦
٣_	بيض القطا	دلالة قبح (سياق هجاء)	٢٠٦

ومن هنا نلاحظ أن عبقرية المبدع تكمن في إنشاء علاقة ترابط وتفاعل وانسجام ؛وذلك بإطلاق العنان لخياله الشعري الذي يوحد بين المادي الحسي والفكري المعنوي ويذيب الحدود المصطنعة بينهما فيتناغم الحس مع الفكر من دون أن يفصله أو يتميز عنه (٧٤) .

النتائج

من أهم النتائج التي توصلنا لها هي :

١/ ظهرت دوال الحيوانات عبارة عن أدوات يتوسل بها الشاعر للتعبير عن أزماته

وانفعالاته ؛لأنها في نظره قادرة على إحداث الأثر المنشود في المتلقي،وهي تجمع الأفكار العارية المجردة وتلبسها ثوباً جديدا فتصبح أكثر قدرة على توصيل المعنى المطلوب، أي استوعب أداؤها الفني زخم الانفعال بالتجربة .

٢ / لجؤ الشاعر إلى الرمزية في الحدث الشعري ، فنرى الكلب مثلاً يأخذ تعدداً في الرمزية فنراه في سياق رمزاً مقدساً لارتباطه بأهل الكهف ، وعندما يتحدث عن نفسه يتحول لرمز لقري الضيف والكرم ،أما عندما يرتبط الأمر بمناوئيه يصبح رمزاً لانحطاط القدر والرذيلة ،وينطبق ذلك على بقية المعجم ، فالأسد رمزاً للشجاعة ،والأفعى ،والخيل رمزاً للقوة ،والثعلب رمزاً للضعف والهوان ،بينما الذئب فبات رمزاً للموت والفتك وهو مرتبط ببني أمية وبني العباس فقط ،فضلاً عن البقر فكان رمزاً للحياة وتساقط المطر، أما المها فكانت رمزاً للطهارة والنقاء ،وهكذا كانت بقيت دوال الحيوانات .

٣ / لم تأت الحشرات إلا في المواقف السياقية الهجائية للنيل من المخاطبين فكان يشبههم بالخنافس والبعوض والنمل وغيره .

٤ / وقد ساعدتْ صور البيان :(التشبيه ، الاستعارة) لتكون جسراً يلتقي عليه المبدع والمتلقي في إطار عُرف لغوي مشترك من الرمزية والإيحاء .

٥ / أما الطيور فقد سِيقت في صورٍ كانت البؤر المحركة للنص الذي ترد فيه وكانت مشحونةً بالرمزية والدلالة أيضا ومن هذه الإضاءة على النتائج نجد إن موهبة الشاعر كانت عالية جداً من خلال قدرته على صياغة صوره من زاوية رؤيته للعالم الواقعي من حوله ،ونقله لهذا العالم بصياغة فنية نابعة من تجربته ووجدانه ،موحداً بين ذاته الداخلية ومعطيات الواقع الخارجي بفنية إبداعية فائقة في الجمال والكمال .

Abstract

This stigmatized study "the lexicon of animals in duble al – khuzai –evidental study "

In this study I adopted the text of evidental fields which is based on the observation investing and analysis .

The research is divided in to :

1- The animal lexicon .
   A- The wild animal .
   B- The domestic animals .
2- The insects and crawling lexicon .
3- The bird lexicon .

The most important results that we reashed are not only :

1-These animals represented and reflect the poet self crisis and emotions but also regarded sub statute for his feelings .
2-The poet adopted the symbolism through these animals .
3-He mention insects in some satirical it nations only .
4 -He depend on the some features snchas (assimilation ' metaphor ……etc .) .

These are the most important that we reached

هوامش البحث

١. تشريح النص /عبد الله الغذامي ،١٨٤ .
٢. ديوان دعبل الخزاعي /ضياء الدين الاعلمي ،٤٢ .
٣. تشريح النص ،٥٧ .
٤. الديوان ،٤٦ .
٥. م .ن ،٧٠ -٧١ .
٦. تشريح النص ،٦٠ .
٧. الديوان ،٥١ .
٨. م.ن ،١٩٤ .
٩. تشريح النص ،٦٥ .

١٠ .الديوان ،١٨٢ .
١١.م.ن ،١١٠ .
١٢.النص المضاد /عبد الله الغذامي ،١٥٠ .
١٣.الديوان ، ١٢١ .
١٤.م.ن ،٤٢ .
١٥.مواقف في الأدب والنقد /عبد الجبار المطلبي ،٥٧ .
١٦.الديوان ،١٠٦ .
١٧.البحث الدلالي /مشكور كاظم العوادي ،١٤٢ .
١٨.مواقف في الأدب والنقد ،١٠٧ .
١٩ .الديوان ،١٦٩.
٢٠.تشريح النص ،٦٥ .
٢١.علاقة الحضور والغياب /سمير الخليل ،٥٦ .
٢٢.ديوان امرئ القيس /تح :محمد أبو الفضل إبراهيم ،٢٤ .
٢٣.الديوان ،٣٧ .
٢٤.مقالات في الشعر الجاهلي /يوسف اليوسف ،٤٢ .
٢٥.الديوان ،٥١ .
٢٦.تشريح النص ،٦٠ .
٢٧.الديوان ،٩٠ .
٢٨.م.ن،٩٥
٢٩. م.ن،٣٧.
٣٠ .م.ن،١١٠ .
٣١.م.ن،١٣٩ .
٣٢.م.ن ،١٢٦ .
٣٣.م.ن ،١٤٤ .
٣٤.م.ن ،١٤٨ .
٣٥.مواقف في الأدب والنقد ،١٩٦ .

٣٦.الديوان ،١٤٤ .
٣٧.محاضرات في الصوت والمعنى /جاكوبسون ،١٤٧.
٣٨.الديوان ،١١٥ .
٣٩.م.ن ،١٢٢ .
٤٠.اللغة الخيالي والرمزي /جاك لاكان ،٦١ .
٤١.الديوان ، ٥٧ .
٤٢.النص المضاد ،١٣٥ .
٤٣.م.ن ،ص.ن .
٤٤.م.ن ،١٣٢ -١٣٣ .
٤٥.مواقف في الأدب والنقد ،٧٨ .
٤٦.على هامش الأدب والنقد /علي ادهم ،٣١ .
٤٧.النثر الفني عند لسان الدين الخطيب /عبد الحليم الهروط ،١٤٣ .
٤٨.الديوان ،٧٤ .
٤٩.العلاماتية وعلم النص /تر :منذر عيّاشي ،١٧٦ .
٥٠.الديوان ،٨٧ .
٥١.العلاماتية وعلم النص ،١٦٩ .
٥٢.الديوان ،٨٨ .
٥٣.البحث الدلالي ،١٤٣ .
٥٤.الديوان ،٤٩ .
٥٥.مقالات في الشعر الجاهلي ،٦٧ .
٥٦.الديوان ،٤٨ .
٥٧.الأسس النفسية للإبداع /مصطفى سويف ،٦٣ .
٥٨.اللغة الخيالي والرمزي ،٩٦ .
٥٩.الديوان ،٧٩ .
٦٠.اللغة الخيالي والرمزي ،١٠٠-١٠١ .
٦١.اللسانيات /احمد محمد قدُّور ،١٩٨ .

٦٢،م.ن ،ص.ن .
٦٣.محاضرات في الصوت والمعنى ،٧١ .
٦٤.الديوان ،٨٢ .
٦٥.الطباع المتفرد والظروف /س.غ.يوتشاروف ،٥٣.
٦٦.الديوان ،١١٠ .
٦٧.تشريح النص ،٦٥ .
٦٨.م.ن ،ص.ن .
٦٩.م.ن ،١٤٢ .
٧٠.الديوان ،١٥٤ .
٧١.مواقف في الأدب والنقد ،١٥٢ .
٧٢.الديوان ،٩٦ .
٧٣.م.ن ،٤٥ .
٧٤.الصورة الفنية /جابر عصفور ،٣٤٣ .

قائمة المصادر والمراجع

١. الأسس النفسية للإبداع /مصطفى سويف ،ط٣ ،دار المعارف ،مصر ،١٩٦٩ م .
٢. البحث الدلالي في تفسير الميزان /د.مشكور كاظم العوادي ،ط١،مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر،بيروت ،لبنان ،٢٠٠٣م .
٣. تشريح النص/د.عبدا لله الغذامي ،ط٢ ،المركز الثقافي ،بيروت ،لبنان-الدار البيضاء،المغرب ،٢٠٠٦ م .
٤. ديوان امرئ القيس /تح :محمد أبو الفضل إبراهيم ،ط٢،دار المعارف ،مصر ،١٩٨٥م.
٥. ديوان دعبل الخزاعي /ضياء الدين الاعلمي ،ط١ ،مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ،بيروت ،لبنان،١٩٩٧م .
٦. الصورة الفنية /د.جابر عصفور ،ط٢،دار التنوير للطباعة والنشر،بيروت ،لبنان،١٩٨٣م .
٧. الطباع المتفرد والظروف /س .غ.يوتشاروف،تر:د.جميل نصيف التكريتي،مجلد٢،(د.ط)،طباعة دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد ،العراق،١٩٩٥م .

٨. علاقة الحضور بالغياب في شعرية النص /د.سمير الخليل،ط١،طباعة دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد،العراق ،٢٠٠٨م .
٩. العلاماتية وعلم النص(نصوص مترجمة)/تر:منذر عيّاشي ،ط١،المركز الثقافي العربي،بيروت،لبنان-الدار البيضاء ،المغرب ،٢٠٠٤م .
١٠.على هامش الأدب والنقد / علي ادهم ،(د.ط) ،دار الفكر العربي ،القاهرة ،مصر،(د.ت).
١١.القصيدة والنص المضاد د.عبدا لله الغذامي ،ط١،المركز الثقافي العربي ،بيروت ،لبنان الدار البيضاء ،المغرب ،١٩٩٤م .
١٢.اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي /د.احمد محمد قدُّور،ط١،المطبعة العلمية ،دمشق ،سوريا ،٢٠٠١م.
١٣.اللغة الخيالي والرمزي /جاك لاكان ،ط١،منشورات الاختلاف ،العاصمة الجزائرية ، الجزائر ،٢٠٠٦م .
١٤.محاضرات في الصوت والمعنى/رومان جاكوبسون ،تر :حسن ناظم وآخرون،ط١،المركز الثقافي العربي ،بيروت ،لبنان-الدار البيضاء ،المغرب ،١٩٩٤م .
١٥.مقالات في الشعر الجاهلي /يوسف اليوسف ،ط٢ ،دار الحقائق، بيروت ،لبنان،١٩٨٠ .
١٦.مواقف في الأدب والنقد /د.عبد الجبار المطلبي ،(د.ط)،دار الحرية للطباعة ،بغداد ،العراق ،١٩٨٠م

بحوث ورسائل جامعية

النثر الفني عند لسان الدين الخطيب /عبد الحليم حسين الهروط ،رسالة دكتوراه مخطوطة ،كلية الآداب ،جامعة بغداد ،١٩